3. نظرية العوامل والروابط الحجاجية

وفي المقال نفسه قدم ديكرو مفهومين جديدين، يحققان الفعل الحجاجي، وهما مفهوما : الروابط الحجاجية، والعوامل الحجاجية [1].

أ. الروابط الحجاجية (les connecteurs argumentatifs)

هي كلمات تؤدي دور الربط بين ملفوظين أو أكثر، فتحدّد لكل منها دوره في العملية الحجاجية. فكلمة مثل : إذن « donc »، تقع بين ملفوظين يكون الثاني بينهما نتيجة للأول، أما كلمة مثل : لكن « mais »، إذا توسطت ملفوظين، فإنها تفيد أن الملفوظ الأول يحمل وجهة حجاجية معاكسة للملفوظ الثاني، وأن المتكلّم لا يأخذ بعين الاعتبار إلا الوجهة الثانية؛ أي أن فعله الحجاجي في هذا الحديث ينطلق من الوجهة الثانية، لا الأولى.

ويقدم جاك موشلير، في مقال مستقلّ، تحليلا مسهبا للروابط الحجاجية، وخصائصها، ودورها في العملية الحجاجية، كتفصيل لما أجمله ديكرو. وهذا تحليله للرابط : لكن « mais »[2].

- الطقس جميل، لكنني أفضل أن أبقى في البيت. (il fait beau, mais j'ai envie de rester à la maison)

فمن هذا المثال نستخلص الخصائص التالية :

أ. فمن جهة ميدان اشتغال هذا الرابط، نلاحظ أنه يربط بين بين قضيتين مستقلتين، هما : أولا، الطقس جميل، وثانيا، المتكلم يرغب في أن يبقى في البيت.

ب. ومن جهة طبيعة المحتوى، فإن « لكن » تُدرج تناقضا بين النتائج التي يريد المتكلم من المستمع أن يستخلصها؛ أي بين النتيجة التي تستخلص من : الجو جميل، وهي علّة كافية لـ: الخروج، وبين : أرغب في البقاء في البيت، وهل علّة لـ: عدم الخروج.

ج. أما الخاصية الثالثة، المتعلقة بالآثار المعرفية أو السياقية، فهي تظهر في المثال نفسه، ولكن من غير وجود الرابط «لكن».

- الطقس جميل، أفضل أن أبقى في البيت. (il fait beau, j'ai envie de rester à la maison)

ففي هذه الجملة، لا يظهر أي تناقض بين القضيتين، وللمخاطَب الحق في أن يفهم أن رغبة المتحدث البقاء في البيت معلّلة بجمال الطقس.

وإذن، فإننا نلاحظ كيف يشتغل الرابط الحجاجي : ما ميدانه؟ وما محتواه ؟ وأيضا : ما وظيفته، التي تسمح باستخلاص استنتاجات لا يمكن استخلاصها في غيابه.

---

[1] المرجع نفسه، ص 9.

[2] Jacques Moesheler : Connecteurs, encodage conceptuel et encodage procédural, Cahiers de linguistique française(CLF), Paris, 2002, p. 243-265.

ب. العوامل الحجاجية (les opérateurs argumentatifs)

وهي كلمات لا تكون إلا في جملة بعينها، مثل : منذ « dès »، تقريبا « presque»، لا ... إلا « ne .. que »، ويمكن تعريفها كما يلي : نسمي مورفيما « س » عاملا حجاجيا، إذا كان هناك، على الأقل، جملة (ج)، وبإدخال العامل «س» عليها، تنتج جملة أخرى (ج')، من جهة أن إمكان استعمالها الحجاجي يختلف عنه في الجملة (ج). وهذا الاختلاف لا يمكن أن يستخلص من الاختلاف في القيمة الحجاجية بين (ج) و (ج').

وهذه بعض الأمثلة :

(1) الساعة تشير إلى الثامنة. أسرع ! Il est 8 h. Presse-toi !

(2) الساعة تشير إلى الثامنة. لا داعي للسرعة ! Il est 8 h. Inutile de te presser !

(3) ليست الساعة إلا الثامنة. أسرع ! Il n'est que 8 h. Presse-toi !

(4) ليست الساعة إلا الثامنة. لا داعي للسرعة ! Il n'est que 8 h. Inutile de te presser !

فأنت تلاحظ أن الكلمات « ليس .. إلا »/« ne .. que » المدرجة في الأمثلة (3) و (4)، والتي لا تغيّر شيئا في شروط صدق الجمل التي ندرجها فيها، تعمل على تقييد مجموع النتائج المحتملة المستخلصة من الجملة. في حين أن ملفوظ: « الساعة الثامنة »، يمكن أن تستعمل في فعل حجاجي تكون نتيجته : « أسرع ». وهذه النتيجة نفسها لا يمكن أن تُضمّ إلى جملة : « ليست إلا الثامنة ». وهكذا نصل إلى تعيين القدرة الحجاجية لجملة (ج) مع مجموع الجمل التي يمكن أن يكون ملفوظٌ ما صالحا لأن يكون استنتاجا للجملة (ج)، وستكون قدرةً تُرغم عليها العوامل الحجاجية.

ومع ذلك، فإن فحصا دقيقا للإدراج في الجملة (3) يجعله ممكنا جدا في موقف معين. يكفي فقط أن يخشى أحد أن يكون متأخرا جدا عن أن يصل إلى اجتماع محدد، وليكن في الساعة الثامنة والنصف، ويتخلى عن الذهاب؛ فمن المعقول جدا أن نستعمل الملفوظ (3) لنصحه بالذهاب، منبهين له أنه ليس متأخرا جدا كما يعتقد. وإذن فإننا نلاحظ أن الاختلاف بين الجملة (3) والجملة (1) هو فقط في المسار الذي يربط الحجة بالنتيجة. في الجملة (1) يمكن أن يكون هذا المسار، وفي الوقت نفسه، من أجل أن تكون الجملة (3) معقولة، وكذلك يمكن أن يكون مسارا عاديا، لأوضاع كلامية أخرى؛ أو لتنبيه المحاور أنه يعوزه الوقت، وإذن ليس له ما يخسره أكثر. وبالعكس فالجملة (3) تقصي هذا الاحتمال.

هذا، ويذهب بعض الباحثين إلى القول بصعوبة التفريق بين الروابط والعوامل الحجاجية في الاستعمال الطبيعي للغة، وأن التمييز المنهجي بينهما ليس من الصرامة بمكان[1]، ويجملها تحت

[1] Jacques Moesheler et Anne Reboul : Dictionnaire Encyclopédique de Pragmatique, p.179.

مصطلح واحد هو : الروابط التداولية (les connecteurs pragmatiques)، ويعرفها كما يلي : " الرابط الحجاجي علامة لسانية تنتمي إلى أصناف نحوية متعددة، كأن تكون أدوات ربط وتنسيق (conjonctions de coordination)، أو أدوات ربط و إتباع /إتمام (conjonctions de subordination)، أو ظروفا (adverbes) أو جملا ظرفية (locutions adverbiales). والتي تقوم بـ :

أ. ربط الوحدات اللسانية الكبرى أو أي وحدات خطابية أخرى.

ب. تقوم بتوجيه الطريقة التي يتم بها ربط هذه الوحدات.

ج. تجبر على استخلاص النتائج من الارتباطات الخطابية، والتي لا يمكن استخلاصها في غيابها "[1].

ويميّز فيما بينها من خلال وظائفها، كما يلي :

- روابط حجاجية (connecteurs argumentatifs)، مثل : لأنّ (شرحاً للسبب) « car »؛ لأنّ (شرحاً للسبب) « parce »؛ بما أن (شرحاً للحال) « puisque ».

- روابط حجاجية مضادة (connecteurs contre-argumentatifs)، مثل : لكن (شرحاً للحجة المضادة، والاستدراك) «mais »؛ ومع ذلك (شرحاً للحجة المضادة، أو تسجيلا لاعتراض) « quand même »؛ بما أنّ (شرحاً للتعارض بين قضيتين) « pourtant ».

- روابط تلخيصية استنتاجية (connecteurs consécutifs)، مثل : إذن (للاستنتاج) «donc »؛ وهكذا (للإستنتاج) «alors »؛ وبذلك (للإستنتاج) «ainsi ».

- روابط إعادة تقويم (connecteurs réévaluatifs)، مثل :أخيرا «finalement »؛ في آخر المطاف« en fin de compte ».

وبناء على ما قدم فإن العوامل والروابط الحجاجية ما هي إلا تمثّلات يتمظهر من خلالها الفكر الإنساني، وهي تدل على العمليات العقلية التي يقوم بها، والحجج والاستدلالات التي يبنيها. وهذا يؤدي بنا إلى الخلاصة التي ترى بأن هذا النشاط لا يمكن فهمه حق الفهم، وإدراكه تمام الإدراك، إلا من خلال تحليل اللغة التي يتمظهر فيها، ويتميز بها عن سائر الكائنات الحية التي تشترك معه في أغلب مظاهر الحياة.

---

[1] Jacques Moesheler : Connecteurs, encodage conceptuel et encodage procédural, Cahiers de linguistique française(CLF), Paris, 2002, p. 243-265.